Avrupa İslam Üniversitesi

İSLAM ARAŞTIRMALARI

Journal of Islamic Research

Yıl 2 Sayı 3 Mayıs 2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحاديث الطبية بين الوحي الإلهي والطب التجريبي

د. مصطفى خضر دونمـــز التركي
عميد كلية العلوم الإسلامية ببروكسيل/بلجيكا
mustafadonmez_44@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ إن السنة النبوية الشريفة هي الأصل الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، والتلازم بينها وبين كتاب الله تعالى في فهم مقاصد الشريعة جعلتها متمة للقرآن ومفسرة لآياته ومفصلة لمجمله ومقيدة لمطلقه ومخصصة لعمومه ومبينة لمبهمه وناسخة لحكمه. وبناء على ذلك الأساس القويم حفظها الله سبحانه وتعالى كما حفظ كتابه على يد جهابذة العلماء المحدثين المخلصين في دراستها وحفظها والاهتمام بها، لأن ذلك من تمام حفظ الله تعالى لكتابه العزيز. ومن اهتمامهم بها؛ الإسناد الذي اختصت الأمة به دون الأمم السابقة، فإن كان الرواة من أهل السنة أخذوا بروايتهم، وإن كانوا من أهل البدع تركوها. ومن حفظهم لها؛ جمعهم إياها

في الدواوين والسنن والمصنفات والمسانيد والمعاجم والأجزاء التي تلقاها المسلمون منذ القرون الأولى بالقبول والمعرفة والعمل بما صح منها. ومن

دراستهم لها وضعهم قواعد ومقاييس للنقد سنداً ومتناً، وترجمتهم لنا رجال الأسانيد بالنص عليهم تعديلا وتجريحاً، وعملهم لها فقهاً وشرحاً، وتمييزهم للأحاديث صحةً وضعفاً ووضعاً.

نعم، نعم السعي والجهد عملهم على مر العصور في سبيل العلم والمعرفة، والذي في تقديمهم السنة لنا بصورة نقية فيه الخير الكثير والنفع الكبير، فيكفيهم هذا شرفاً وشأناً، وعملا مرضياً، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

واعلم أن الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس مرشدين على مدى التاريخ البشري قد عنوا بالمشاكل التي واجهها الناس في حياتهم اليومية إضافة إلى ما كانوا مكلفين به من تبليغ الرسالة الإلهية. فإن التوصيات التي قام بها هؤلاء الأنبياء فيما يتعلق بالمواضيع المختلفة للحياة اليومية، يمكن تقييمها داخل إطار وظيفة النبوة. وتحديد هذه التوصيات بحدود صحيحة فإنه سيساعد على فهم المؤسسة النبوية فهماً صحيحاً. ويجدر بنا الإشارة إلى أن التدابير الهادفة لوقاية صحة الناس البدنية والروحية قد أخذت مكانتها بين وظائف الأنبياء وتصرفاتهم الموافقة للفطرة البشرية بكامل معناها.

إنّ العالم البشري منذ بدء التاريخ، قد قام ببذل الجهود طوال مراحل حياته لحلّ مشاكله الصحّيّة، مثيراً الاهتمام بالمعلومات المتعلّقة بالطبّ و متناولا إيّاها بالبحث. ونتيجة لهذا البحث فقد طورت كل أمة مناهج للمداواة خاصة بها. وأبرز مثال لذلك هو ما حققته وطورته الحضارات القديمة من مناهج المعالجة الطبية، مثل مصر وما بين الرافدين (مزوبوتامية) والصين واليونان وروما.

وقد أولى الإسلام أيضاً الاهتمام اللازم لعلم الطب الذي هو من أقدم العلوم في تاريخ الحضارة، وقام بإسهامات هامة في هذا المجال. لأن من أهم جوانب علم النبوة الذي كان لدى النبي صلى الله عليه و سلم هو ما وصّى به أمّته من

المعلومات الطبية. فكان المسلمون يحلون مشاكلهم الصحية منذ عصور مستعينين بتلك المعلومات. لكنه بقي مصدر هذه المعلومات محوراً للغموض والتساؤلات. فهل كان الوحي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المواضيع أيضا؟ أم على العكس كان بعضها مستمدّة من الوحي ومواكبا للمبادئ الطبية الواردة في القرآن الكريم و البعض الآخر منها معلومات بشريّة مستندة إلى التجربة؟

إن المعلومات التي وصلت إلينا عن طريق الرواية في هذا المجال قد تجمعت ضمن تراث الطب النبوي دون أي تمييز بينها فيما إذا كانت مستمدة من الوحي أو ما هو حصيلة بشرية. وقد ألف علماء الإسلام إلى يومنا هذا مؤلّفات قيّمة فيما يتعلق بتراث الطب النبوي. إلا أن الشيء القليل من هذه المؤلفات التي مازالت مخطوطة قد حظيت بالتحقيق و ظهرت إلى عالم العلم.

ويحتوي الطب النبوي على سبيل المثال على الموضوعات التالية: الطب الوقائي، التداوي عن طريق الرقية والانتفاع بالأغذية والنباتات التي يرجى من خلالها الشفاء وغيرها من الموضوعات.

إننا قد بذلنا ما كان في وسعنا من الجهد، كي ينال البحث ما استهدفه من كلتا الناحيتين؛ المنهج والمضمون. وبالرغم من ذلك فإن بقي هناك شيء من النقصان، فليس هذا سوى ما تقتضيه الطبيعة البشرية من زلل لا يخلو عنه أحد. وبالتالي فإنه ستسرّنا تنبيهات المهتمّين بهذا المجال وتقييماتهم العلمية المخلصة حول هذا العمل.

ونسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجه، ويرزقنا خدمة سنة رسوله الكريم، ونشرها والعمل بها طوال حياتنا، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه المصير.

وهذا الذي أردنا أن نقول في هذه المقدمة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ – طرق المعالجة الطبية عند العرب في العهد الجاهلي

إذا تناولنا في البحث عن مناهج المعالجة الطبية عند العرب في العهد الجاهلي نرى أنه من الممكن جمعها تحت عنوانين. فقد قام الأستاذ صالح قرجه بك بالتقييم التالي المفيد: " إنّ من المعلومات الضرورية التي يحتاج إليها الإنسان منذ آدم، هي معالجة الأمراض. كما أنه نشأ مستغلّون كثيرون في هذا المجال أيضاً في كافّة عهود التاريخ. على أنه قد تطور علم الطب الذي لا بد منه داخل الظروف الخاصة لكلّ حقبة وجرت أعمال علمية في هذا المجال. و بالنسبة لتطبيق الطب فقد وجد في ذلك المجال منهجان متواصلان، عدا ما فعله المستغلّون. المنهج الأول منهما، هو الطب الشعبي المستمد من التجارب. وثانيهما هو التطبيق الطبي المستمدّ من الاختبار و التعلّم داخل ظروف كل عهد، مع الاهتمام بالمعطيات العلمية. و إذا نظرنا إلى مناهج التداوي ومستوى علم الطب في الجزيرة العربية، فالمنهج الأول هو الرقية التي كان الكهّان والعرّافون يقومون بها. أما الثاني فهو المنهج الذي كانت المبادئ الطبية سارية المفعول فيه وكان يطبَّق عن طريق الأدوية و التدخّل الجراحي."[I]

ويمكن أن نطلع على هذين المنهجين مفصلَيْن على النحو الآتي:

١ – كان الإتيان إلى الكهان طريقاً ذائعة للتداوي بين عرب الجاهلية. فهناك حاجة ماسّة إلى بحوث وتجارب طويلة المدى وخلفية معرفية كثيفة لإلقاء الضوء على الظواهر المجهولة – و لاسيما الأمراض – و فهمها. وكان عرب الجاهلية لم يتمتعوا بعد بهذه الإمكانية، وكانوا يعيشون قبل الإسلام عيشة بدائية، يعتقدون بوجود قوى خفية كالجن و الشياطين والأرواح وراء ما لا يفهمون أسبابه من الحوادث.[II] لذلك كانوا يأتون الكهّان و العرّافين حلاّ للحوادث المستعصية بالنسبة إليهم، انطلاقاً من الاعتقاد بأنّ لهم علاقات مع العالم الخفي، أي عالم الأرواح والأجنّة. وفيما يتعلق بذلك، فإن الكهنة والعرّافين كانوا يطبّقون مناهج مختلفة لمعالجة الأمراض. وكانت تلك المناهج عبارة عن التمائم والسحر والرقية وما إليها.[III] ولا يخفى أنها تعني الاعتقادات الباطلة والخرافات أكثر مما تعني

علم الطب. ولذلك فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم حرّم هذه المناهج التي تتضمن الشرك البتة.[IV]

٢ – إننا نرى أنه كان في الجزيرة العربية إلى جانب هؤلاء، عدد قليل من الأطباء الذين كانوا يجرون معالجاتهم وفقاً للتطبيقات الطبية. كالحارث بن كلدة الثقفي[V] ورفاعة أبو رمثة التميمي[VI]، وشمردل بن قباب الكعبي[VII] وابن خزيم[VIII] ورفيدة بنت سعد الأنصارية[IX] وغيرهم. أمّا معالجاتهم التي كانوا يطبقونها، فكانت عبارة عن الانتفاع ببعض النباتات وتنفيذ بعض العمليات الجراحية البسيطة. ومن بين المناهج الكثيرة الاستعمال أيضاً هو كيّ الجروح وتحسينها من خلال استخدام بعض المراهم والأدوية، بسبب كثرة الحروب، إلى جانب استخدام بعض الموادّ النباتية والحيوانية وكان يستعمل الحجامة لتداوي بعض الحّميات و الأوجاع.[X]

ب – مصادر معلومات النبي صلى الله عليه وسلم الطبية

سنتناول هنا في البحث عن مصادرَ معلومات النبي صلى الله عليه وسلم الطبية داخل إطار هذا العمل. لأنّ تراث الحديث الذي توارثناه من النبي صلى الله عليه وسلم، فيه عدد لا يستهان به من الروايات المتعلقة بالطب. ونظن أنه يكفي لفهم هذا الأمر، النظر إلى الأحاديث التي جُمعت ضمن كتاب الطب أو كتاب المرضى في الكتب الستة.[XI] بالإضافة إلى أنه ينبغي ألاّ يُنسى أنّ هناك مؤلّفات منذ القرن الثالث الهجري تختص بالأحاديث المتعلقة بالطب تحت عنوان "الطب النبوي".[XII] حتّى إننا نرى أنّ هناك أعمال بحث واسعةَ النطاق، ما زالت تعمل حول الطب النبوي إلى يومنا هذا. ولذلك فإنّ الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب، أدّت منذ زمن مبكّر إلى مناقشات لا يمكن غض النظر عنها.[XIII] وسنحاول هنا التطرّق إلى تصنيف الأحاديث المتعلقة بالطب.

ج- تصنيف الأحاديث الطبية من حيث مصادرها

إذا قمنا بتصنيف الأحاديث المتعلّقة بالطب من حيث علاقتها بمفهوم السنة، فهل لنا أن نصنّف الأحاديث الواردة في الطبّ مع الأحاديث الأخرى

الواردة في الأحكام الشرعية مثلاً؟ وانطلاقاً من قوله تعالى في رسوله: "**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**".[XIV] فهل مصدر الأحاديث المتعلقة بالطب وحي أم لا ؟ فبغيةَ الحصول على أجوِبة لهذه الأسئلة، يلزمنا البحث عن مصادر الأحاديث المتعلقة بالطب.

ويمكن تقسيم السنة النبوية إلى القسمين التاليين من خلال نظرة عامة إلى الموضوع:

١) السنة المستمدة من الوحي والّتي مصدرها الوحي.
٢) السنة المستمدة من الاجتهاد النبوي، أي التي مصدرها بشري.

إلاّ أننا لن نناقش التقسيم نفسه. لأنّ بعض العلماء يزعمون أن جميع أقوال النبي صلى الله عليه وسلم و أفعاله مستندة إلى الوحي، بينما الجمّ الغفير منهم يرى أنه يلزم تناول السنة داخل إطار التقسيم المذكور.[XV] ولذا يجب أن تناول أيضاً الأحاديث الطبية داخل هذا التقسيم. فمثلا إنّ الخطابي (٩٩٨/٣٨٨) الذي هو من شرّاح الحديث الأوائل، قد قام بالبيان التالي حول الموضوع: ينقسم الطب عنده إلى قسمين: أ) الطب القياسي؛ وهذا هو الطب اليوناني الذي يطبّقه الناس في أماكن مختلفة من العالم . ب) الطبّ التجريبي؛ و هذا طبّ العرب والهند، وأكثر الطرق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لقصد التداوي، فإنه حسب طب العرب التجريبي.[XVI]

أمّا الإمام الشاطبي فقد قام ببيان أكثر وضوحاً حيث قال: " أما علم الطب، فقد كان في العرب منه شئ لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجارب الأميين، غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون. وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة، لكن على وجه جامع شافٍ، قليلٍ يُطّلع منه على كثير. فقال تعالى: كلوا واشربوا ولا تسرفوا.[XVII] وجاء في الحديث التعريف ببعض الأدوية لبعض الأدواء، وأبطل من ذلك ما هو باطل، كالتداوي بالخمر والّرقى التي اشتملت على ما لا يجوز شرعاً."[XVIII]

إلاّ أنّ ابن خلدون هو الذي جاء بالتمييز الأكثر وضوحاً في المسألة. فقد ذهب إلى أنّ رسول الله لم يُبعث إلينا، لا لتبيين الطب ولا لتبيين غيره من العلوم، بل لتعليم الدين و تبليغه فحسب. فالأحاديث المتعلقة بالطب النبوي ليست ملزمة العمل. إذ لا علاقة لها بالوحي، بل إنها تعكس عادات ذلك الوقت.[XIX]

وبعكس ما نقلناه من الآراء، فإنّ بعض العلماء من بين أهل الحديث على وجه الخصوص، رأوا أنّ كافة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم منشأها الوحي وأنّه لا بد من تصنيف الروايات المتعلقة بالطب داخل هذا الإطار أيضاً. فمثلا قال ابن قيّم الجوزية (ت:١٣٥٠/٧٥١) : " وليس طبه صلى الله عليه وسلم كطب الأطباء، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل. وطب غيره، أكثره حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور – إن لم يلتق هذا التلقي – لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه؟ فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطبية، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الداء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله."[XX]

وممن شاركوا ابن القيّم في رأيه هو الكتّاني (١٩٦٢/١٨٨٦). فإنّه إلى جانب ذلك دافَعَ في كتابه الشهير التراتب الإدارية عن أنّ الطب النبوي أثرٌ للوحي. بالإضافة إلى ما قام به من الانتقادات حول آراء ابن خلدون التي ذكرناها آنفاً، حيث قال: " ومن المهاثرة ما ذكره الفيلسوف ابن خلدون في مقدمة تاريخه حين فصّل أنواع الطب ومستنداته قال: "وللبادية من أهل العمران طبّ منوه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحي و عجائزه. وربما يصح فيه البعض إلاّ أنه ليس على قانون طبيعي ولا موافقة المزاج. وكان في العرب أطبّاء من هذا القبيل معروفون كالحارث بن كَلَدة و غيره. والطبّ

المنقول في الشرعيات من هذا القبيل. وليس من الوحي في شيء، و إنما هو أمر كان عاديّا عند العرب"،[XXI] انتهى كلامه..[XXII]

وأما شاه وليّ الله الدهلويّ فقد رأى رأيا معتدلاً نسبيّاً. فالسنّة المرويّة عن النبي صلى الله عليه وسلم المدوّنة في الكتب تنقسم عنده إلى قسمين: أولاهما هي السنة المأمورة وهي داخلة في مجال تبليغ الرسالة. فلا بد من تصنيف الأحاديث المتعلّقة بالاعتقاد والعبادات تحت هذا القسم. أمّا ثانيتهما فهي السنة التي ليست مأمورة وغير داخلة في مجال تبليغ الرسالة. وللإشارة إلى هذا النوع من فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **إنّما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنّما أنا بشر** ". [XXIII] فالأحاديث المتعلّقة بالطبّ داخلة في هذا النوع من السنة.[XXIV]

وقد اعتبر محمد أبو شهبة ـــ وهو من علماء الحديث المعاصرين ـــ، أن الطب النبوي حصيلة الوحي. فقد ذهب إلى أنّ أسلوب الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالطب، يثبت هذا الموضوع. حيث قال : " وفرق كبير في الأسلوب بين هذين الحديثين (يقصد به حديث الذبابة وحديث تمر العجوة) وأمثالهما من أحاديث الطب و بين قصة تأبير النخل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسقها مساق القطع واليقين، وإنما ساقها مساق الرجاء: "**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً**". ومعظم أحاديث الطب- إن لم تكن كلها – إنما ساقها النبي الله صلى الله عليه وسلم مساق القطع واليقين مما يدل على أنها بوحي من الله سبحانه وتعالى."[XXV]

أمّا الكاتب علي رضا قره بولوط الذي أعدّ موسوعة في الطب النبوي صلى الله عليه وسلم، فقد عبّر عن رأيه حول مصادر الطب النبوي بالعبارات التالية: "إنّ النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان دائماً تحت رقابة الوحي وإرشاده، لم يُرسل ليعلّمَ الشريعة فقط. بل كان أحسن نموذجاً في المواضيع الدنيوية ولا سيّما المواضيع الطبية. لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قام بتطبيق ما كان يطبّقه العرب من المعلومات الطبية بعد الإصلاح والتصحيح، إضافة إلى تطبيق الأوامر التي تلقّاها عن طريق الوحي. فبدأ كمعجزة، بطب جديد وقام ببيانات وتطبيقات نالت اهتمام

طبٍّ يومنا الحاضر، في مواضيع كثيرة. وقد تأسّى به الصحابة والتابعون بعد عهده، في المواضيع الدينية والطبّية على حدّ سواء "[XXVI]. وبعد هذه التوضيحات عدّ مصادر الطب النبوي كما يلي: القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة المستندة إلى الوحي، والقياس، والتجربة، التعديل والتصحيح."[XXVII]

وبإلقاء نظرة عامة فإنّه يبدو من البديهيّ أنّ رسول الله كان له عناية بالمعلومات الطبية وحصل عليها في المرحلة التي تقدّمت النبوّة من حياته. لأنّ المشاكل الصحّيّة تفرض نفسها في كافّة المجتمعات وبالتالي فإنّ أيّ إنسان يستطيع أن يحصل على بعض المعلومات الطبية. ومن هذه الناحية فإنّه يمكن توضيح هذا الموضوع توضيحا صائباً، بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد اقترح في مرحلة ما بعد النبوّة بعض المعالجات، مستفيداً من معلوماته وتجاربه السابقة حول الطبّ، إلى جانب بياناته الواردة حول مواضيع مختلفة كثيرة.[XXVIII]

ولا بدّ إلى جانب ذلك من التذكير بأنّ هناك نقطة هامّة أخرى، هي أنّ الدّين لا شكّ قد تعرّض للمواضيع الصحية أيضاً، من حيث إنها عبارة عن مجموع الأوامر والنواهي والتوصيات التي أوحى بها الله إلى نبيه صلى الله علي وسلم كي ينال الناس من خلالها سعادتي الدنيا والآخرة. يعنى بذلك أنّ للمواضيع الطبية أقساماً تستند إلى الوحي.[XXIX] فمثلاً الأحاديث التي تبيّن الحكم الشرعي حول التداوي وتحرّم الرّقى التي تتضمّن الشرك، لا شكّ في أنها تفيد حكماً شرعياً منهله الوحي.

إذاً فإنه يبدو من المصيب تصنيف الأحاديث المتعلّقة بالطبّ حسب مصادرها وتناول هذه المصادر تحت عنوانين رئيسين هما:

١- المستمدة من الوحي، ٢- غير المستمدة من الوحي.

١ – المصادر المستمدة من الوحي :

أ) المواضيع الداخلة في مجال الحكم الشرعي :

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كما بيّنّا سابقاً، قد أُرسِل من حيث الأصل لتبليغ أوامر الله ونواهيه. فمن الطبيعي إذاً قيام الدين بتبليغ أوامرَ و نَواهٍ حول المواضيع الصحية و تبيينها أيضاً كواجبٍ من الواجبات. ولعلّ أحسن مثال لذلك

هو هذا الحديث؛ قال عوف بن مالك : "**كنا نرقي في الجاهلية. فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: " اعرضوا عليّ رُقاكم، لا بأس بالرّقى ما لم تكن شركاً.**"[XXX]

وكما رأينا في الحديث المذكور فإنّه قد سُئل رسولُ الله عن الحكم الشرعي في الرقية، أي التداوي عن طريق قراءة بعض الأدعية. فبيّن أنه تجوز الرقية ما لم يكن هناك شرك. و للتحديد حول ما إذا كان هناك شرك، طلب منهم أن يُروهُ الرّقى التي كانوا قد قرءوها. ولا شكّ في أنّ هذا الحديث متعلّق بالطب، وأنّ مصدر الحكم الذي قضى به النبي صلى الله عليه وسلم هو الوحي، وبالتالي فإنّ هذا الحديث يفيد حكماً شرعياً. وعلى كلّ مؤمن أن يعتبره أساساً ملزِماً.

حتّى إننا نرى أنه قد بُيِّن في مصادر الحديث الحكمُ الشرعي للتداوي أي علم الطبّ نفسه. فقد رُوي عن أسامة بن شَريك أنّه قال: " **كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ناس من الأعراب فسألوه، فقالوا : يا رسول الله أنتداوى؟ قال: نعم، إنّ الله لم ينـــزل داءً إلاّ أنزل له شفاء إلا الهرم.**"[XXXI]

وخلاصة القول هي أن رسول الله المبعوث لتبليغ أوامر الدين ونواهيه المستَمِدة من الوحي، قضى بتأسيس بعض المسائل الطبية جعلها ملزمة ومتحتمة.[XXXII]

ب) المواضيع المستمدة من الوحي بمقتضى مكانة النبي صلى الله عليه وسلم :

إنّ خاتم الأنبياء محمداً صلى الله عليه وسلم، قد قاد المجتمع الإسلاميّ كرئيس للدولة، إلى جانب قيامه بتبليغ دين الله أي الوحي الذي قد تلَقّاه. وقد أدّت ميزته هذه إلى بيانه للأحكام المستندة إلى الوحي فيما يتعلّق بمواضيع الصحة العامة.[XXXIII] و يمكننا ذكر هذا الحديث مثالاً لذلك: عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – ذكر الطاعون عنده – فقال : " **رجس– أو رجز، عذب به أمة من الأمم، وبقيت منه بقايا، فإذا سمعتم به في بأرض، فلا تقدمو عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تفرّوا منه.**"[XXXIV]

فهذا الحديث يشير إلى تطبيق الحجر الصحيّ و ينبئ عن مبدأ هامّ فيما يتعلّق بالصحة العامة. وكما بيّنّا سابقاً، فإنه إذا نظرنا إلى أن ّالنبي صلى الله عليه وسلم كان متصفاً في الوقت نفسه برئاسة الدولة، يصير الموضوع أكثر وضوحاً. فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا عدوى**[XXXV] **ولا طيرة ولا هامة**[XXXVI] **ولا صفر**[XXXVII]. **و فِرّ من المجزوم فرارك من الأسد.**"[XXXVIII]

ونلاحظ أنه قد تجمّع في هذا الحديث المعلومات الطبية التي تنهل من الوحي، والّتي جمعناها آنفاً تحت عنوانين. حيث بُيِّن في الشطر الأول من الحديث المذكور بطلانُ ما كان يعتقد العرب بصحته في الجاهلية من المفاهيم الطبية شرعاً. أمّا في الشطر الثاني من الحديث نفسه، فقد أشير إلى الحجر الصحيّ الّذي طلب رسول الله مراعاته على الإطلاق، كخليفة للمسلمين.

٢ – المصادر غير المستمدة من الوحي:

إننا حينما نقوم بالبحث حول أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، نرى أنّ هناك روايات كثيرة تتعلّق بالطبّ ولكن دون أن تستند إلى الوحي. ونعتقد أنّه لا بدّ من التمييز تمييزاً دقيقاً بين هذا النوع من الأحاديث وبين ما هي مستمدّ من الوحي والتي لها الحكم التشريعي. لأنّ ذلك النّوع مجرد حصيلة لمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم و تجربته البشريتين. حيث يبدو هذا الأمر بديهياً نتيجة القيام ببحث متقَن حول تلك الأحاديث.

أمّا الأمر الأكثر لفتاً للانتباه في هذا الموضوع، فهو عدم وجود أيّ حديث صحيح يقضي بلزوم أخذ المعارف الطبية من الوحي.[XXXIX] إلاّ أنّ المواضيع الّتي أولاها النبي صلى الله عليه وسلم اهتماماً، يبدو أنها قد تمحورت حول أخذ التدابير الفردية والاجتماعية ومراعاة النظافة وتجنب المعتقدات الباطلة والبحث عن طرق التداوي عند ظهور مرض من الأمراض. [XL]

فلا بدّ اذاً من تصنيف هذين الحديثين وما شاكلهما، ضمن معرفته وتجربته البشريّتين كما أسلفناه: "**عليكم بهذا العود الهنديّ، فإنّ فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب.**"[XLI] و"**الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين.** "[XLII]

كما أنّه يؤيّد رأينا هذا، وكذا الحديث الّذي نقلناه سابقاً: " **إنّما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنّما أنا بشر** "[XLIII] يؤيد كذلك ما نراه في المسألة.

وخلاصة القول أنّ بعض الأدوية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأمراض، نبتت عن معرفته وتجربته الشخصيّتين و لم تنشأ من المعلومات التي هي وليدة الوحي. وبالتالي فليست ملزمة إلزاماً شرعيّاً. وأما الأحاديث المتعلقة بمبادئ الطب وما يدخل في المجال الحكم الشرعي، هي حصيلة الوحي.

الخاتمة :

وقد رأينا في بحثنا المذكور أن الأحاديث ذات علاقة طبية تدور ما بين الوحي الإلهي والطب التجريبي. وأن وضع المقاييس المحددة للتفريق بينهما يصعب على كل مشتغل بفقه الحديث، وذلك لأسباب متعددة منها : ١- صعوبة تحديد الأحاديث التشريعية وغير التشريعية لما في طبيعة الدين الإسلامي من امتيازه بالشمولية ومراعاة التكامل، ٢ - صعوبة كذلك توثيق الأحاديث المتعلقة بالطب لوجود عدد غير قليل من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا المجال، ٣- صعوبة فهم تلك الأحاديث فهماً صحيحاً وكيفية تطبيقها في ضوء الواقع.

كما هو معلوم لدى الباحثين، فإن الأحاديث الطبية التي تشكل مصدر الطب النبوي، تتضمن الطب الوقائي، والروحاني أي التداوي عن طريق الرقية الشرعية والأدعية وكذا الانتفاع بالأغذية والنباتات والأعشاب المستعملة في تحضير الأدوية المفردة.

إن الأحاديث الطبية سواء كانت مصدرها وحي أم صادرة عن تجربة النبي صلى الله عليه وسلم البشرية، فإن لها مكانة ذا أهمية في نفوس المسلمين. وتزداد

أهمية في عصرنا الحاضر عندما نرى الطب الحديث يركز اليوم على أدوية طبيعية مفردة بدل أدوية كميوية مركبة في معالجة الأمراض البدنية، لأن تأثيراتها السلبية في المرضى عديمة الوجود أو أقل بكثير مما هو في الأخرى.

قائمة المراجع والمصادر:

I انظر: ص ٥٩. ، **Salih Karacabey ,** Hz. Peygamber'de Nebevi ve Beşeri Bilgi, Sır yay. İst. 2002

II انظر: ص١٢٥، **Günaltay, M. Şemseddin,** *İslam Öncesi Araplar ve Dinleri,* A.O. yay. Ank. 1997

III انظر: نفس المرجع ، ص ١٢٧، Günaltay, M. Şemseddin

IV انظر الروايات في ذلك : الحاكم، المستدرك، ٤٦٣/٤؛ والبيهقي، السنن الكبرى، ٣٥٠/٩.

V انظر : ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء، بنشر فؤاد السيد، القاهرة، ١٣٧٤، ص ٥٤.

VI انظر : ابن جلجل ، المرجع السابق، ص ٥٧.

VII انظر : ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، ١٣٢٨، ١٥٥/٢-١٥٦.

VIII انظر : مختار سالم، الطب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨، ص ٨١.

IX انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت، ١٩٧١، ٢٥٠/٣.

X انظر: ص ١٣، **Denizkuşları, Mahmut,** *Kurân-ı Kerîm ve Hadislerde Tıp*, Marifet yay. İst., 1990

XI البخاري، كتاب الطب، ١١/٧؛ كتاب المرضى٢/٧؛ ومسلم، كتاب السلام، ١٧١٨/٢؛ وأبو داود، الطب، ٣/٤؛ والترمذي، الطب، ٣٣٤/٤؛ والنسائي، كتاب الطب٣٥١/٤ (السنن الكبرى)؛ وابن ماجه، الطب، ١١٣٧/٢.

XII للاطلاع على المصادر في هذا المجال انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، إسطنبول، ١٩٧١، ١٠٩٥/٢.

XIII انظر: ص ١٨٣،. **Sancaklı, Saffet,** *Sünneti Doğru Anlamak*, Sır yay. İst. 2001

XIV سورة النجم، ٤.

XV انظر: محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٩، ص ٣٤١- ٣٥٣.

XVI انظر : أبو سليمان الخطابي، إعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، جامعة أم القرى، المكة المكرمة، ١٩٩٠، ص ١٠٨/٢؛ وابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٧٠/١٠.

XVII سورة الأعراف، ٣١.

XVIII أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، دار الفكر بيروت، ٢/ ٤٩.

XIX انظر : ابن خلدون، المقدّمة، دار الشعب، القاهرة، ٢/ ١١٧٢.

XX ابن قيّم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧، ٣٥/٤- ٣٦.

XXI ابن خلدون، المرجع السابق، ١١٧٢/٢.

[XXII] انظر : الكتاني، التراتب الإدارية، بيروت، ١٩٩٣، ١٥١/٣ – ١٥٢.

[XXIII] مسلم، الفضائل،١٤٠.

[XXIV] انظر : شاه وليّ الله الدهلوي، حجة الله البالغة، دار الفكر، بيروت، ١/ ١٢٨.

[XXV] محمد أبو شهبة، المرجع السابق، ص ٣٤٢.

[XXVI] انظر : **Karabulut, Ali Rıza,** *Tıbb-ı Nebevî Ansiklopedisi*, I-II, Mektebe Yay. Ank. ts. ١٤/١

[XXVII] انظر : المرجع السابق، ١٤/١ **Karabulut, Ali Rıza,**

[XXVIII] انظر : المرجع السابق، ص ٢٣٣ **Salih Karacabey,**

[XXIX] انظر : المرجع السابق، ص ٢٣٦–٢٣٧ .**Salih Karacabey**

[XXX] أبو داود، الطب، ١٧.

[XXXI] الإمام أحمد، المسند، ٢٧٨/٤.

[XXXII] انظر : نفس المرجع ، ص ٢٣٩ **Salih Karacabey,**

[XXXIII] انظر : المرجع نفسه، ص ٢٤٠. **Salih Karacabey ,**

[XXXIV] مسلم، السلام، ٣٢.

[XXXV] كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن أيّ مرض وخاصة الجرب يمكن أن يُعدي بمجرّد النظر أو الدعاء، أي بدون سبب و يسمّونه العدوى. انظر : القاموس المحيط للفيروزابادي، ١٠٦٨/٤.

[XXXVI] الهامة تعني طائر البوم. فعرب الجاهلية كانوا يعتقدون أنّ روح القتيل تتحوّل إلى هامة تصرخ فوق قبر صاحبها إلى أن يُؤخذ ثأره. انظر : المرجع السابق، للفيروزابادي، ٤ /٥٣٦.

[XXXVII] كان العرب في الجاهلية يعتقدون أنّ حيّةً تحدُث في جوف الإنسان و تُمرِضه. فإذا جاعت مضغت أحشاء المريض و أوجعته. وكانوا يسمّونها الصفر. انظر : المرجع السابق، للفيروزابادي، ٤٧٣/٢.

[XXXVIII] البخاري، الطبّ ، ١٩.

[XXXIX] انظر : النفس المرجع ، ص ٢٤٣. **Salih Karacabey,**

[XL] انظر : نفس المرجع، ص ٢٤٣. **Salih Karacabey,**

[XLI] مسلم، السلام، ٤١٠٢، ٤١٠٣.

[XLII] مسلم، الأشربة، ١٥٧.

[XLIII] مسلم، الفضائل، ١٤٠.